

دعابة لانهائية

فصلان من رواية «لكن في البارود»

الصغير ويلي يُحنط.
إيفرنس، مصدر سابق.

أكثر من ألف جندي قُتل من الجانبين، وجُرح ثلاثة أضعاف هذا الرقم. كان «قتالاً دمويًا مُريعاً» كما قال جندي شاب في صفوف الاتحاد لأبيه، قتالاً شديداً التدمير لرفاقه بحيث بقي، برغم النصر، «حزيناً، وحيداً، مكسور القلب» سبعة فقط نجوا من بين خمسة وثمانين مقاتلاً في وحدته.
غودون، مصدر سابق.

الموتى في دنلسن، يا يسوع الرحيم. مكوّمون ومُكّدسون مثل قمع مدرّوس، واحد فوق اثنين فوق ثلاثة. فكّرت بالأمر لاحقاً وأنا أشعر بالسوء. يا إلهي، أنا من فعل هذا، فكّرت. في «مذكرات ثلاث معارك»، الملازم أول دانييل براور ألف قتيل. كان هذا غير مسبوق. بدت حرباً حقيقيّة الآن. في «الحرب العظمى كما وصفها المحاربون فيها» المارشال تيرنبل

تموضع القتلى كما سقطوا، في كلّ وضعية يمكن تخيلها، بعضهم يقبضون على بنادقهم وكأنهم لا يزالون يطلقون النار، بينما آخرون، مع خرطوش في قبضتهم الجليدية، كانوا في وضعية التلقيم. طلعات بعض الوجوه ترسم ابتسامات سعيدة مسالمة، بينما خيمت على آخرين سيماء كراهية إبليسيّة. بدا وكأنّ كل وجه كان المُعادل الدقيق للأفكار التي كانت تعبر المخيلة حينما أسقطها رسول الموت. وربما كان هذا الشاب ذو الظاهر النبيل، بوجهه المتقدّ بابتسامه، وخصلات شعره اللماعة التي تلبّدت بدمائه، يحسّ بصلاة أمه تتسلّل إلى حواسه مع انطفاء حياة شبابه. قربه استلقى زوج شاب لا تزال الصلاة لزوجته وصغيره معلقةً على شفقيه. الشباب والشيوخ، الفضيلة والشر، كلها حاضرة على وجوه تلك الطلعات المخيفة. أمامنا انبسطت البقايا المسوّدة المسفوعة لأشخاص حُرّقوا أحياءً. كانت الجثث في حالة سيئة تجعل نقلها مستحيلاً، وكانت العوامل الجوية القاسية قد نهشتها.

في «سنوات الحرب الأهليّة: توصيف يومي لحياة أمة»، تحرير روبرت إي. دني: توصيف العريف لوشيسوس و. باربر، فرقة مستودع الذخائر، الكتيبة 15 من مشاة إينوي المتطوعين، مقاتل في معركة فورت دنلسن.

لم أر ميّتاً من قبل أبداً. والآن رأيت ما يكفي. شاب مسكين تجمّد في وضعية ينظر فيها إلى الأسفل مرعوباً إلى جرحه، عيناه جاحظان. اندلقت بعض أحشائه وكوّنت، بجانبه تماماً، تحت طبقة رقيقة من الجلد، لوحة أرجوانية وحمراء في بيتي، على طاوله الزينة، بطاقة رُسم عليها قلب يسوع المقدّس، وهذا الشاب بدا مثله، باستثناء أنّ لطحته الأرجوانية والحمراء كانت أخفض وأكبر ومائلة إلى أحد جانبيه بينما هو يحدّق فيها برعب.

في «المجد الرهيب: مجموعة رسائل من الحرب الأهلية لرجال قاتلوا فيها»، تجميع وتحرير بريان بل ويلي ترست وكانت أمنا النار قد اجتاحت الموتى والجرحى المتجمدين في أماكنهم. وجدنا أحدهم لا يزال يصارع الحياة بينهم وتمكنا من سحبه إلى الخلف وهو لا يزال حياً ولكن من دون أن يعرف في أيّ جانب هو، كان محروقاً بشدة، وعارياً في ما عدا ساق واحدة من ساقين ينطلونه. لم أسمع عما حلّ به بعد ذلك. ولكن لم يبذّ الوضع مبشراً لذلك الشيطان المسكين.

في «رسالة من جندي من إينوي»، تحرير سام وستفول، توصيف الجندي إدورد غيتس، مرافق التشغيل المركزية، الكتيبة 15 من مشاة إينوي المتطوعين. اثنان أو ثلاثة منا سيمسكون بشخص ويسحبونه بعيداً كما وجدناه تماماً، فالجو قارس والجثث متجمّدة كلياً. في ذلك اليوم أدركت أنّ بإمكان المرء أن يعتاد أيّ شيء. سرعان ما بدا كل شيء طبيعياً لنا، بل وتبادلنا النكات حتى، مبتكرين اسماً لكل جثة، بالاعتماد على مظهرها. ها هنا المنحني، وهناك المصدوم، وهذا هو المشطور.

براور، مصدر سابق
وجدنا شابين متعانقَي الأيدي، لا يتجاوز أيّ منهما الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، كما لو أنّهما قرّرا عبور تلك البوابة المظلمة معاً.

غيتس، مصدر سابق

كم واحداً أيضاً تريد يا سيدي قبل أن تكتفي؟ دقيقة قبل، كان هناك الصغير نيت على ذلك الجسر مع صنارة، وبين هذا الولد الآن؟ ومن ناداه إلى هناك، في تلك اللوحة التي شافها قرب أوربس، طيب يا سيدي، شاف اسمك عليها «إبراهام لنكن».

في «رسائل المواطنين إلى الرئيس لنكن»، تجميع وتحرير جوزفين بانر وإيفلين درسمن، رسالة من روبرت هانزورثي، بونسبورو، ميريلاند.

جورج سوندرز

ترجمة يزن الحاج

46

حاول أن «يرى» وجه الصبي.

روجر بفنز الثالث

لم يقدر.

هانز قولمن

حاول أن «يسمع» ضحكة الصبي.

روجر بفنز الثالث

لم يقدر.

هانز قولمن

حاول استعادة حادثة محدّدة يحضر فيها الصبي، على أمل

أنّ هذا قد –

روجر بفنز الثالث

حين البسناه بدلة للمرة الأولى.

كذا فكّر السيد.

(حققت هذه الجملة النتيجة.)

حين البسناه بدلة للمرة الأولى، أنزل نظرائه إلى البنطلون ثم رفع نظرائه نحوي، مندھشاً، كما لو أنّه سيقول: أبي، أنا أردني بنطلون البالغين.

عاري الصدر، حافياً، ببطن ممثليّ شاحب، كبطن عجوز. ومن ثمّ القميص المكفّف الصغير وتزويره.

وداعاً أيّها البطن الصغير، إنّنا نقفصك الآن.

نقّفص؟ لا أظنّ أنّ هذه الكلمة مستخدمة يا أبي.

عقدت ربطة العنق الصغيرة. أدركته لأتأمّله.

لقد البسنا وحشاً برياً، كما يبدو، قلتُ.

رسمّ الزمجرة على ملامحه. كان شعره منتصباً، وخذاه أحمرين. (حينما كان يركض في أنحاء المتجر السابق، ارتطم برّف جوارب) الخياط، المتامر، أخرج الجاكيت الصغير بأبهة كبيرة.

ثمّ الابتسامة الطفوليّة الخجولة حين البسته الجاكيت.

ها، قال، إلا ابدو رائعاً يا أبي؟

ثمّ لا أفكار أبداً لوهلة، بل اكتفينا بتقليب النظرات حولنا: شجرات عارية سوداء تحت السماء داكنة الزرقة.

الجاكيت الصغير الجاكيت الصغير الجاكيت الصغير.

تكرّرت العبارة في رأسي.

انطقات نجمة، ثمّ لمعت.

الجاكيت نفسه الذي يرتديه هناك، الآن.

هه.

الجاكيت الصغير نفسه. ولكنّ الصبي الذي يرتديه –

(كم أودّ أن لا يكون الأمر حقيقة.)

مكسور.

شيء مكسور شاحب.

لمّ لن ينجح الأمر. ما الكلمة السحرية التي أنجحت الأمر. من هو ولي تلك الكلمة. ما الذي أفاده حين أخذ هذا الولد. يا لهذه البدعة. كيف كانت تشتغل أصلاً؟ ما الشرارة التي تشغّلها؟ الآلة الصغيرة العظيمة. مجهزة على هذا النحو فحسب. تتلقّى الشرارة، فتقفز إلى الحياة.

ما الذي أطفأ تلك الشرارة؟ ما تراها تلك الخطيئة. من سيجرّو. أن يدمّر معجزة كهذه. ستكون لعنة قتل إذاً. لا سمح الله أن أقترف فاجعة كهذه –

هانز قولمن

لا بد أنّ يؤرّقنا أمرٌ ما –

روجر بفنز الثالث

مسحنا وجهنا بيدنا، كما لو كنا نحاول قمع فكرة تحاول الخروج.

هانز قولمن.

لا يبدو أنّ هذا الجهد يؤتي نتيجة –

روجر بفنز الثالث

غمرتنا الفكرة.

هانز قولمن

في «جامعة سيراكوس» نفسها، وتخلّص قليلاً من أعباء الطبقة العاملة.

الإنفعال والعاطفة في اللغة... وعند النّاس البسطاء، على هذا تأسست جملة سوندرز، والشيء نفسه نجده عند أهم كاتب فرنسي في القرن العشرين: فردينان سيلين، الذي طوّر اللغة الفرنسية بمقاربة مماثلة مردداً جملة الأثيرة «في البدء كانت العاطفة... لا الفعل». يقول في إحدى محاضراته أنّه جاء من ضواحي شيكاغو حيث النّاس كرماء وأذكباء، لكنهم لا يعرفون الرقة في التعامل، «قد يقول لك أحدهم مُعْتَبِراً عن جنبه وهو يصرخ كأنه سيضربك: إنّي أحبك يا ابن الزانية. العاطفة تغطي الكلام». وهذا ما حاول أن ينقله في نثره طيلة ثلاثين عاماً من الكتابة.

شخصيات سوندرز غريبة تعيش في مستقبل قريب، سحقته الرأسمالية ومجتمع الاستهلاك. في القصة التي حملت عنوان مجموعته الأولى، يسرّد قصة مدينة ملاهي ضخمة يدخلها الناس ليعيشوا أجواء الحرب الأهلية الأميركية. ألعاب خطيرة تحاكي ما حدث في القرن التاسع عشر. أما في مجموعته الثالثة «في أمة الإقناع» (2006)، فنقرأ عن دب قطبي يبدأ كل أيامه بهدف واحد: سرقة رقائق بطاطا من بيت عائلة إسكيمو، وعن بلدة اجتاحتها حمى قتل الحيوانات الأليفة، وعن أرملتين من أوروبا الشرقية تحاولان العيش في ضواحي المدن الأميركية... تمتزج السخرية بالدعابة بهجاء المجتمع الحديث، باللغة المشحونة في قصص سوندرز. قصص تنطلق بعوالم واقعية أميركية، ربما بتأثير من كتاب القصة الأميركيين الكبار الذين عاصروهم أمثال ريموند كارفر وتوبياس وولف ودنيس جونسون. لكنها أي الشخصيات - تتصرّف بطريقة غرائبية، وهنا يعود سوندرز إلى تأثيراته الأولى التي تمتدّ من العبثيين الروس في بداية القرن العشرين أمثال دانييل هارمس، وحتى كتاب الديستوبيا الأميركيين كورت فوننيغت وتوماس بينتون.

أما روايته الأولى «لنكن في البارود» التي صدرت هذه السنة بعد مجموعته القصصية الأخيرة «العاشق من ديسمبر» (2013). كانت أنجح مجموعة له عند القراء والنقاد، فقد جاءت حول قصة سمعها سوندرز منذ عشرين عاماً عن أبراهام لنكن الرئيس الأميركي الأشهر الذي خاض حرب الاستنزاف بين الشمال والجنوب وأنهى العبودية. سار ذات ليلة من سنة 1862، أي خلال فترة الحرب الأهلية، إلى المقبرة التي دفن فيها ولده ويلي الذي مات في سن الحادية عشر بحمي التفويد. وهناك يعلّق لنكن بين أشباح الموتى في المقبرة، العالقة بدورها في «البارود». كلمة

بودية من التيببت تعني المرحلة بين الحياة والموت، أو مرحلة العبور الأكبر للأرواح من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، وتصير المقبرة مسرحاً لموتولوجات عشرات الأشباح.

جورج سوندرز كاتب قصة مهم، وإن كنا قد التفتنا إليه بسبب روايته الأولى التي حصدت هذه الجائزة، إلا أنه لا يجب أن نغفل عن مشروعته الأكبر والأهم: عشرات القصص القصيرة والنصوص النثرية التي تكشف لنا وجهاً مهماً من الأدب الأميركي الحديث، ونقول لنا الكتابة كلعب مع اللغة والوقت، كهجاءٍ ساخرٍ لواقع الأشياء وكدعابة لانهائية.



47

أرسل الصغير ويلي لنكن ليرتاح في اليوم الذي نُشرت فيه لوائح الإصابات من انتصار الاتحاد في معركة فورت دنلسن، وهو حدثٌ تسبّب بصدمة كبيرة لدى الرأي العام آنذاك، إذ كانت الخسائر في الأرواح غير مسبوقه في الحرب.

في «التأكد من الحقيقة: المذكرات، والخطا والتفادي»، جيسن ثمّ، «مجلة التاريخ الأميركي»

كانت ترد تفاصيل الضحايا إلى الرئيس حينما كان جثمان